

التحرير والتنوير

والفرح : شدة المسرة أي راضون جذلوا بأنهم اتخذوا طريقتهم في الدين . والمعنى : أنهم فرجون بدينهم عن غير دليل ولا تبصروا بل لمجرد العكوف على المعتاد وذلك يومئـ إـلـيـهـ (ـ لـديـهـ) المقتصـيـ أـنـهـ مـتـقـرـرـ بـيـنـهـ مـنـ قـبـلـ أـيـ بـالـدـيـنـ الـذـيـ هـوـ لـدـيـهـ فـهـمـ لاـ يـرـضـونـ عـلـىـ مـنـ خـالـفـهـ وـيـعـادـونـهـ وـذـلـكـ يـفـضـيـ إـلـىـ التـفـرـيقـ وـالتـخـاـذـلـ بـيـنـ الـأـمـةـ الـوـاحـدـةـ وـهـوـ خـلـافـ مـرـادـ إـلـيـهـ ولـذـلـكـ ذـيلـ بـهـ قـوـلـهـ (ـ وـإـنـ هـذـهـ أـمـتـكـمـ أـمـةـ وـاحـدـةـ)ـ .ـ وـقـدـيـمـاـ كـانـ التـحـزـبـ مـسـبـبـاـ لـسـقـطـ الـأـدـيـانـ وـالـأـمـمـ وـهـوـ مـنـ دـعـوـةـ الشـيـطـانـ الـتـيـ يـلـبـسـ فـيـهـاـ الـبـاطـلـ فـيـ صـورـةـ الـحـقـ .ـ

والحزب : الجماعة المجتمعون على أمر من اعتقاد أو عمل أو المتفقون عليه .
(فذرهم في غمرتهم حتى حين [54]) انتقال بالكلام إلى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم .
وضمير الجمع عائد إلى معروف من السياق وهم مشركو قريش فإنهم من جملة الأحزاب الذين
قطعوا أمرهم بينهم زبرا أو هم عينهم : فمنهم اتخذ إلهه العزى . ومنهم من اتخاذ مناة
ومنهم من اتخاذ ذا الخلمة إلى غير ذلك .
والكلام ظاهره المتاركة والمقصود منه الإملاء لهم وإنذارهم بما يستقبلهم من سوء العاقبة
في وقت ما . ولذلك نكر لفظ (حين) المعمول غاية لاستدراجهم أي زمن منهم قوله (لا
تأتيكم إلا بفتحة) .

والغمرة حقيقتها : الماء الذي يغمر قامة الإنسان بحيث يغرقه . وتقديم في قوله تعالى (ولو ترى إذ الطالمون في غمرات الموت) في سورة الأنعام . وإضافتها إلى ضميرهم باعتبار
ملازمتها إياهم حتى قد عرفت بهم وذلك تمثيل الحال استغالهم بما هم فيه من الازدهار وتصرف
العيش عن التدبر فيما يدعوهـمـ إـلـيـهـ الرـسـوـلـ لـيـنـجـيـهـمـ مـنـ العـقـابـ بـحـالـ قـوـمـ غـمـرـهـمـ الـمـاءـ
فـأـوـشـكـوـاـ عـلـىـ الـغـرـقـ وـهـمـ يـحـسـبـوـنـ أـنـهـ يـسـبـحـوـنـ .

(أـيـحـسـبـوـنـ أـنـمـاـ نـمـدـهـمـ بـهـ مـاـ مـالـ وـبـنـيـنـ [55]) نـسـارـعـ لـهـمـ فـيـ الـخـيـرـاتـ بـلـ لـاـ يـشـعـرـوـنـ [56]) الأـشـبـهـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ جـمـلـةـ بـدـلـ اـشـتـمـالـ مـنـ جـمـلـةـ (ـ فـذـرـهـمـ فـيـ غـمـرـتـهـمـ حـتـىـ حـيـنـ)ـ باـعـتـبـارـ
أـنـ جـمـلـةـ (ـ فـذـرـهـمـ)ـ تـشـتـمـلـ عـلـىـ مـعـنـىـ عـدـمـ الـاـكـتـرـاثـ بـمـاـ هـمـ فـيـهـ مـنـ الـأـحـوـالـ الـتـيـ أـلـهـتـهـمـ عـنـ
الـنـظـرـ فـيـ دـعـوـةـ إـلـاسـلـامـ وـغـرـتـهـمـ بـأـنـهـمـ بـمـحـلـ الـكـرـامـةـ عـلـىـ إـلـيـهـ بـمـاـ خـوـلـهـمـ مـنـ الـعـزـةـ وـالـتـرـفـ وـماـ
تـشـتـمـلـ عـلـىـهـ مـنـ التـوعـدـ بـأـنـ ذـلـكـ لـهـ نـهـاـيـةـ يـنـتـهـوـنـ إـلـيـهـ وـأـنـ إـلـيـهـ أـعـطـاهـمـ مـاـ هـمـ فـيـهـ زـمـنـ
الـنـعـمـةـ اـسـتـدـرـاجـاـ لـهـمـ .ـ وـهـذـاـ كـوـلـهـ تـعـالـىـ (ـ وـذـرـنـيـ وـالـمـكـذـبـيـنـ أـوـلـيـ النـعـمـةـ وـمـهـلـهـمـ قـلـيلاـ)ـ
وـقـوـلـهـ (ـ لـاـ يـغـرـنـكـ تـقـلـبـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ فـيـ الـبـلـادـ مـتـاعـ قـلـيلـ)ـ .ـ

والاستفهام في (أـيـحـسـبـوـنـ)ـ إـنـكـاريـ وـتـوـبـيـخـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـسـبـانـ سـوـاءـ كـانـ هـذـاـ الـحـسـبـانـ حـاـصـلاـ

لجميع المشركين ألم غير حاصل لبعض لأن حالهم حال من هو مظنة هذا الحسبان فينكر عليه هذا الحسبان لإزالته من نفسه أو لدفع حصوله فيها .

و (إنما) هنا كلمتان (أن) المؤكدة (وما) الموصولة وكتبتا في المصحف متصلتين كما تكتب (إنما) المكسورة التي هي أداة حصر لأن الرسم القديم لم يكن منضبطا كل الضبط وحقها أن تكتب مفصولة .

والإمداد : إعطاء المدد وهو العطاء . و (من مال وبينين) بيان ل (ما) الموصولة .

والمسارعة : التعجيل وهي هنا مستعارة لتوخي المرغوب والحرص على تحصيله . وفي حديث عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم (ما أرى ربك إلا يسارع في هواك) أي يعطيك ما تحبه لأن الراغب في إرضاء شخص يكون متسارعا في إعطائه مرغوبه ويقال : فلان يجري في حظوظك . ومتعلق (نسارع) محذوف تقديره : نسأر لهم به أي بما نمدّهم به من مال وبينين . وحذف دلالة (نمدّهم به) عليه .

وظرفية (في) مجازية . جعلت (الخيرات) بمنزلة الطريق يقع فيه المسارعة بالمشي فتكون (في) قرينة مكنية . وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) وقوله (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم) كلاما في سورة العقود وقوله إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) في سورة الأنبياء .

والخيرات : جمع خير بالألف والتاء وهو من الجموع النادرة مثل سرادقات .

وقد تقدم عند قوله تعالى (وأولئك لهم الخيرات) في سورة براءة وتقديره في سورة الأنبياء

و (بل) إضراب عن المظنون لا على الظن كما هو ظاهر بالقرينة أي لسنا نسأر لهم بالخيرات كما ظنوا بل لا يشعرون بحكمة ذلك الإمداد وأنها لاستدراجهم وفضحهم بإقامة الحجة عليهم .